مكون المكان في الذات بين الوجود والإيجاد سيرة ذاتية بنسالم حميش

م.د .مجيب عيدان جبر

وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بابل/ الإعداد والتدريب

Mojeeb.eadan@gmail.com

ملخص البحث :-

يروم العمل بهذا البحث عن طبيعة مكون المكان في الذات البشرية الوجود الانساني والإيجاد لهذه الشخصيات ضمن سيرة ذاتية للكاتب والأديب المغربي بنسالم حميش؛ إذ جاء في مقدمة ومدخل ومطلبين : في الأول دلالات المكان ويتضمن : معنى المكان لغة واصطلاحاً وواجبات المكان في السيرة الذاتية وأهمية المكان في السيرة الذاتية وطبيعة الوصف المكانية في السيرة الذاتية ، والمطلب الثاني يتضمن : حالات المكان في السيرة الذاتية وتكون حالات الأماكن الخاصة في السيرة الذاتية وحالات الأماكن العامة في السيرة الذاتية ، ثم وضحت نتائج البحث بخاتمة حتى الانتهاء بقائمة المصادر والمراجع والمجلات والدوريات على وفق الحروف الهجائية .

الكلمات المفتاحية :

مكون المكان ، الذات البشرية، الوجود والإيجاد ، السيرة الذاتية ، دلالات المكان ، حالات المكان ، بنسالم حميش.

Abstract:

This research aims to explore the nature of the place component in the human self, human existence, and the creation of these characters within an autobiography of the Moroccan writer and author Bensalem Himmich. It includes an introduction, an introduction, and two requirements: The first includes the connotations of place, which includes: the meaning of place linguistically and technically, the duties of place in autobiography, the importance of place in autobiography, and the nature of spatial

description in autobiography. The second requirement includes: the cases of place in autobiography, which are the cases of private places in autobiography and the cases of public places in autobiography. Then the results of the research are explained with a conclusion until the end with a list of sources, references, magazines, and periodicals according to alphabetical letters.

المقدمة :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد الأمين وعلى آله الطاهرين وصحبه المقربين .

أما بعد ... فيتكون هذا البحث من مدخل لموضوع مكون المكان في الذات بين الوجود و الإيجاد سيرة ذاتية بنسالم حميش و مطلبين ، فكان الاعتماد على وفق المنهج الوصفي الذي ينقل الفكرة ثم يشرحها ناقداً بالتفسير والتفصيل وبالشرح والتعليل في تسلسل منطقي وتدرج يتابع تطور الفكرة وهي تنمو قدر ما يسمح به السياق وطبيعة الموضوع المدروس في التحليل للنصوص؛ لغرض الوصول إلى التوافقات بين الأفكار .

فالمطلب الأول: يتضمن دلالات المكان وتكون في معنى المكان لغة واصطلاحا ، وواجبات المكان في السيرة الذاتية من حيث الوظيفة والعمل ، وكذلك في أهمية المكان في السيرة الذاتية ، وطبيعة الوصف المكانية في السيرة الذاتية لانها ترسم قيماً دلالية لغرض التفسير والتوضيح ضمن طبيعة المكان من خلال عناصره كالضوء والظل في طبيعة الألوان التي تشكل نظاماً من الرموز والقواعد لمثيل العبارات وتصوير الشخصيات .

ثم المطلب الثاني: فيتضمن حالات المكان في السيرة الذاتية وتكون على حالات الاماكن الخاصة في السيرة الذاتية والتعرف على خصوصياتها من خلال المساحات المحدودة وقلة الأفراد الذين يترددون إليها ويمثلونها كالغرف والبيوت والمدرسة والمقاهي .. الخ ، وكذلك على حالات الأماكن العامة في السيرة الذاتية والاطلاع عليها ومعرفة خصوصياتها من خلال المساحات غير المحدودة وكثرة الافراد الذين يسكنونها ويترددون إليها ويمثلونها كالدول والمدن والشوارع الكبيرة ... الخ ؛ لأن هذه الصفات والخصوصيات تمنحها هوية وأهمية ووظيفة تظهر دلالاتها من خلال دور مكون المكان وبنائه بشكل كلي في عمل السيرة الذاتية ، وبعد المطالب نستخلص الخاتمة والنتائج التي توصل اليها ذلك البحث وحتى الانتهاء بقائمة المصادر والمراجع والمجلات و الدوريات على وفق ترتيب الحروف الهجائية .

مدخل البحث :-

إن مكون المكان في أدبية السيرة الذاتية يشكل القاعدة الأساسية ، والأرضية المناسبة التي تنطلق وتندفع من خلالها مقومات وركائز السيرة الذاتية وروافدها لكل انسان في هذه الدنيا ، فالمكان جزء لا يتجزأ من تركيب الذات البشرية ، فهي علاقة متلازمة ومتلاحقة لا يمكن فصلها عن صاحبها مهما كانت الاسباب والظروف ، و ((يتسم القالب هنا بانه يتألف من تتابعية نمطية من المواقع المكانية وسلسلة ثابتة من الوحدات الزمنية))[١] ، فالمكان يمثل الهوية الشخصية ومصدر الابداع السيري الذاتي التي يتصف بها كل شخص في المجتمع الانساني ، لا سيما مكون المكان في الذات بين الوجود و الإيجاد سيرة ذاتية لصاحبها المؤلف المغربي بنسالم حميش* بدوره الذي يجعل سيرته الذاتية من خلال ما يرى في :((حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته))[٢] ، والذي يلتصق به وقع المكان في ذاكرته ونفسه حتى يتحقق لديه خزيناً كبيراً من المواقف والمعلومات الحياتية المختلفة التي تكون بمثابة صور توثيقية لمفردات حياته واحداث سيرته الذاتية ، فهو يعود إليها دائما من خلال تذكره لتلك المواقف والأمور التي مر بمراحلها العمرية المتنوعة، ويستعيد حكايتها متى توفرت الفرصة السانحة، والمماثلة والمتشابهة لهكذا حدث أو موقف له ، فتصبح كقوله تعالى { كُل نفس بما كسبت رهينة }[٣] ، فمن هذا المنطق يصبح وقع مكون المكان رهينة في حياة صاحبه ومخزون ذاكرته التي تتفجر بأستمرار متى وجدت الظروف النفسية المناسبة لذلك الموقف .

المطلب الأول : دلالات المكان :-

أولآ معنى المكان :.

أ- لغة :

جاءَ في معجم لسان العرب لفظة (مكن) ، جمع مكان كصعدات في صعد و ممرات في ممر، كذلك قد ورد(المكان والمكانة) ، واحد و (مكان) ، في أصل تقدير الفعل مفعل ، لأنه موضع لكينونة الشيء فيه[٤] . وجاء في معجم الوسيط لفظة (المكان)، و به استقر فيه ، كذلك وردت لفظة (المكانة) ، وتعني المنزلة ورفعة الشان[٥] .

وقد وردت لفظة (المكان) ، في مواضع كثيرة من القرآن الكريم. كقوله تعالى {وضرب الله مثلاً قرية كانت امنة مطمئنة يأتي رزقها رغدا من كل مكان }[٦] ، أي من كل ناحية مكانية تحيط بالقرية وأهلها.

ب – اصطلاحاً :

إن المعنى الذي يصطلح به المكان ((فأيا تكن أبعاد المكان (بيتاً و كوناً) ، وأياً يكن انتماؤه حضرياً أو بدوياً مفتوحاً أو مغلقاً ... الخ ، فانه يتخذ . مظهراً دقيقاً للغاية))[٧] ، وكذلك يصطلح للفظة (المكان) ، في المصطلحات الأدبية بـ (المقام) ، و ((يقصد بالمقام في البحوث اللغوية والبلاغية والأدبية مكان القول ومناسبته وأطرافه وظروف انشائه والعوامل المباشرة وغير المباشرة في إنجازه))[٨] ، وكذلك يصطلح على مصطلح (وحدة المكان) ، بأن تقع عليه أحداث المأساة في مكان واحد أو مناطق مختلفة من مكان واحد[٩].

ثانياً : واجبات المكان في السيرة الذاتية :-

إن الأرضية المكانية لكل كاتب سيرة ذاتية ؛ لاسيما الكاتب المغربي بنسالم حميش تكون المنبت الفطري لذاكرته التي تدفعه وتحفزه لكتابة سيرته الذاتية من خلال مخزونه الفكري الذي التصق به وتعلق بذاكرته الفطرية والعفوية حتى يضعها في نواحي وطيات السيرة الذاتية التي تمثله ويتصف بها ، كما جاء في أعمال ليريس بقوله : ((انني إنما أحقد على الزمن نفسه ، فاما أن أحاول أن أصور ما يدور بداخلي في اللحظة الراهنة ، واما أن أنفخ الروح في ذكرياتي، واما أن أفر إلى عالم يتحلل فيه الزمان كما تحلل المكان ، واما أن أسعى إلى الفوز بضرب الثبات أو من الخلود بأن انحت لنفسي تمثالاً))[١٠] ، فمن هنا تكمن أهمية كتابة السيرة الذاتية من خلال استرجاع الذكريات التي تنتقل من مرحلة عمرية إلى مرحلة أخرى ضمن محطات و مواقف ذات وقع في الذاكرة وصدى في الفطرة الانسانية حتى يتكون ذلك المخزون من الأفكار والذكريات في رفوف وملفات الذهن عند الكاتب وصولاً إلى الاعتزاز بالذات وتعظيمها من قبل صاحبها الذي يمثلها ، فموضع شاهد الزمان والمكان لتحليل الذكريات وانطلاقها في الأعمال ، كما في نص الذات بين الوجود والإيجاد سيرة ذاتية : ((اما خلال طور التعليم الابتدائي بمدرسة درب السلاوي (بمكناس)، في مغرب حديث العهد بالاستقلال (١٩٥٦م) ،كيف لي أن لا أتذكر معلمين فرنسيين أتوا في إطار خدمتهم المدينة ، متطبعين بعنصرية وذهنية استعمارية سافرتين))[١١] ،فهنا تقوم مكانية المدرسة بواجبها العفوي في توظيف الذكريات الفطرية ضمن مخزون ذاكرة الكاتب ؛ لأن ذكريات المدارس ؛ لاسيما المدرسة الابتدائية تبقى عالقة في ذهنية الانسان مهما

كان مستواه الثقافي ، فبراءة الطفولة تنصهر بتلك الذكريات من خلال الفطرة الانسانية التي تولد معه وتجعله يحملها بكل صدق وعفوية خالية من كل شائبة مشينة في مسير السيرة الذاتية ؛ لا سيما سيرة الطفولة النقية من ملوثات الدنيا ، فيتم توظيف هذه الذكريات من خلال :((الوظيفة الرمزية للمكان ، وترتبط هذه الوظيفة ارتباطاً كبيرا بالوظيفة الجغرافية للمكان ، فالمكان تكون له وظيفته الرمزية التي تفيد في تأكيد وتعضي البناء الأساسي للشخصية لدى الفرد، فالخبرات المتكررة في مكان معين تساعد في تطوير أحساس ما بالاستمرارية ، وشعور ما بالانتهاء لمكان معين))[١٢] ؛ لأن وظيفة المكان الرمزية تقوم بدورها الفكري والفطري بغرس الأثر لدى اصحابها حتى يتكون خزين الذاكرة والمعلومات على شكل حشدا من الأفكار التي تسهم كثيرا في رسم صورة المستقبل للفرد الذي يحملها ويتمثل بها ؛ لأنها الرصيد المعلوماتي والمصدر الذي يعود إليه في تكوين صور الحياة العملية ذات الطابع المنظم في اسهامات رسم السيرة الذاتية الذي يعتمد قوامها على تلك الطاقة المستمدة من ذاكرة الافكار والمعلومات ، كما جاء في النص كقوله ((والويل لمن بين التلاميذ تأخر في تعلم اللغة الفرنسية ومحفوظاتها او قصر ، ولو قليلاً في حضور الفصل عقوبتهم حالئذ الضرب بمسطرة حديدية على رؤوس أصابع اياديهم ، وقد نلت منها حصصاً كثيرة مؤلمة ، فلم اكن كغيري من الخلان ، أتنفس الصعداء وأشتم أطايب الوطن الحر إلا مع أستاذ العربية عبد العزيز بن عبد الجليل أطال الله عمره)) [١٣] ، فمن خلال فطرة الطفولة، استطاع صاحبها أن يميز بين المحتل من جهة استعمارية فرنسية مارست العنصرية المقيتة بكل أوجاعها المؤلمة في النفوس والوجدان العربي والمسلم الذي ينبض بعروق الدم والضمير الوطني المغربي الذي يرفض حالة الاحتلال والاستبداد الذي كان يمثلها المعلم الفرنسي في المدرسة الابتدائية والتصقت بذاكرة الطفولة البرئية ، وكذلك من جهة الشعور الوطني الذي يشعر به نفس الطفل والتلميذ تجاه المعلم المغربي المتمثل بأستاذ اللغة العربية في نفس المدرسة والحاضنة لهذا وذاك هي الذاكرة الحية في ذهن ذلك التلميذ ، وبعد فاعلية المكان ودوره في تكوين الذات ورسم الذكريات ، نلحظ أن هناك : ((غالباً ما يتحدد تطابق السارد والشخصية الرئيسة ، الذي تفترضه السيرة الذاتية ، من خلال استعمال ضمير المتكلم ، وهو ما يطلق عليه جيرار جنيت السرد القصصي الذاتي أثناء تصنيفه لأصوات الحكي))[١٤]، وهذا الضمير المستعمل للمتكلم من خلال

نص الكاتب كلفظة (نلتُ) ، بضمير المتكلم الذي يحمل بين طياته صفات صاحب السيرة الذاتية وأبعاد شخصيته الفردية المحكية والمعبرة لسردياته وأدبياته المتعلقة به .

إن واجبات المكان تسهم كثيراً في تكوين الشخصيات ؛ لاسيما كاتب السيرة الذاتية ، كما في نص الكاتب : ((وكان هناك ايضاً فقيه الحاج الخلطي – رحمه الله – يعلم التربية الاسلامية وكان يخصني بشيء من عنايته الصارمة ، عملاً بوصية والدي الذي كان من اصدقائه الاحماء وجلسائه في المسجد والدكان، وقد وعيت بعديا بفضائل الحفظ على ظهر قلب في سن الطفولة))[١٥] ،نجد الكاتب يصور الخطاب الأدبي بصيغة الضمير المتكلم من خلال ياء المتكلم الواقعة في لفظة (يخصني) ؛ لأن التوظيف الذي يقوم به الضمير ضمن سردية الكاتب هو الذي يظهر معاني وتجربة صاحب السيرة الذاتية ، فهذا التوظيف : ((في النصوص التي توظف ضمير المتكلم المفرد ندرك بسهولة ان الذي يروي التجربة هو الشخصية المركزية صاحبة التجربة، وهذا يعني ان السارد مشارك اساسي في التجربة باعتباره صاحبها وهو يروي من داخل التجربة ذاتها ولا يمكن ان يكون البته خارجها)) [١٦] ، فهناك علاقة وثيقة بينه وبين التجربة الشخصية لكاتب السيرة الذاتية التي توظفه ضمن ميوله الشخصية التي بدورها تظهر لمساته الأدبية والفنية من خلال حدود هذه التجربة الشخصية، التي تحكي أبعاداً لتلك السيرة الذاتية وما تحمل من معاني انسانية ذات علاقة وطيدة به ، كقوله : ((وذلك من حيث تكوين ذاكرة لغوية وتصريف عائداتها في الإنشاءات وسوق الكلام والحوارات ، وهذا ما كنت جربته لاحقاً كوزير للثقافة ، في ما اسميته اولمبياد الاستظهار انخرط فيها تلاميذ من بعض المدارس ، وكانت جد موفقة ينال فيها الفائزون مكافآت مالية وشهادات تقدير))[١٧] ، ضمن هذه النصوص النثرية استعرض الكاتب بعض محطات سيرته الذاتية ضمن مرحلته الطفولية ، وكذلك في الدور الواضح والبارز للبيئة المكانية في التوظيف والواجبات البنائية لشخصية كاتب السيرة الذاتية، وذلك الدور الكبير في المخزون الذي يحمله صاحب السيرة من الذاكرة ؛ لا سيما الذاكرة اللغوية التي تسهم كثيراً في تصريف الكلمات ومختلف الإنشاءات التي تحمل بين طياتها معاني وخطوات و مواقف ومحطات صاحب السيرة ؛ لأن هذه الذاكرة تمثل التحصيل الحاصل له لهذه التجربة الذاتية، وخلاصتها في الافكار والمعاني التي يعتز بها صاحبها في سيرته الذاتية .

ثالثاً : أهمية المكان في السيرة الذاتية

يشكل المكان في السيرة الذاتية عموداً بمثابة الهيكل الفقري لها ، لأهميته في ملتقى المكونات العلائقية التي تلتقي إليه ، ودور المكان في العمل الأدبي هو ((ليس مجالاً هندسياً تضبط حدوده أبعاد و قياسات خاضعة لحسابات دقيقة كما هو الشأن بالنسبة للأمكنة الجغرافية ذات الحضور الطوبوغرافي ، إنما يتشكل في التجربة الأدبية انطلاقاً واستجابة لما عاشه وعايشه الأديب على مستوى اللحظة الآنية ، ماثلاً بتفاصيله ومعالمه أو على مستوى التخيل بملامحه . وظلاله))[١٨]، لأن خصوصية المكان في ذات الانسان جزء لا يتجزأ عن حدوده و كيانه ووجوده فهو مفردة أساسية من مفردات حياته التي بدونها لا يمكن أن يكون له وجود و حدود حتى ينطلق من خلالها في سيرته وفضاء خياله وتفكيره الذي يدور ضمن ذهنه و معرفته، و خير مثال لتجربة أدبية عاشها الأديب فهو صاحب السيرة الذاتية ، كقوله في النص : ((كما أني لا أنسى أعمى كان يملك في الحى منزلاً ويمارس التسول في احياء أخرى بعيدة ، فكنت مع جماعة من أقراني كما صادفناه فيها ناوشناه صائين (بع الدار)، فيهش علينا بعصاه ويحسن التلويح بها في الفراغ ، إذ يصيب احيانا بعضنا بضرباتها مرفقة بالسب والقذف))[١٩] ، فمن خلال هذا السرد النثري نجد أن هناك محطات مكانية يرتكز عليها الكاتب في سرده الأدبي كالحي والمنزل والاحياء البعيدة عن المنزل حتى تنتقل الشخصيات من خلالها وتكون بالنسبة لها دعائم ومحطات أساسية في حياتها وحياة كل فرد يعيش في هذه الأرض الفسيحة ، فمن خلال هذا النص نجد التطابق : ((بطريقة جلية على مستوى الاسم الذي يأخذه السارد – الشخصية في المحكي نفسه ، والذي هو نفس أسم المؤلف المعروض على الغلاف))[٢٠] فمن هذه الآلي والادوات كرس صاحب النص والسيرة الذاتية خطواته الأدبية في كتابته لهذه السيرة المتعلقة به منطلقا من تجاربه المكانية جهة أخرى في صنع التجربة التي عاشها من جهة ولأهميتها من العمل الفني ، كقوله في النص : ((وكنا بعض فتيان الحي نرش حارساً فنلج الدار للتفرج على مجانين خطرين وراء القضبان ، لهم وجوه وأجسام مخيفة ، ويعاملون كوحوش ضارية)) [٢١] ، فتدور هذه القصص السردية ضمن محطات ومواقع مكانية لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال كالحي والدار ووراء القضبان فهي بمثابة مفردات حية تنسجم مع واقع كل سيرة وقصة في هذا العالم الواقعي ، فمن خلال هذا النص الذي يشير الى : ((ان الحديث يسبق الفهم في كثير من الاحيان أي أنه في النهاية يسبق الرؤية ، ففي كثير من الاحيان يكون السارد في موقع متباعد (في الزمن) ، على موقع الشخصية حتى يتسنى له أن يراها ، أنها بعبارة اصطلاحية تقليدية رؤية من الخلف ...

ففي كثير من الحالات يبلغ الوجد بالسارد إلى ان يلتحم بشخصيته وبالانا المتكلمة ان تتطابق مع الانا المجربة))[٢٢] ، فمن هنا تكمن براعة السارد في تصوير الرؤية الاستعادية بالرغم من الفارق الزمني الذي يحول بين السارد والحدث في تكوين السيرة الذاتية ، ومن حيث التداعيات المكانية يكون ((هذا التبادل بين المكانية والذهنية يمتد لإلصاق معان اخلاقية بالاحداثيات المكانية تنبع من ثقافة المجتمع وحضارته ، وهذا يعني أن المكان يساهم في خلق المعنى)) [٢٣] ، لأن المكان يكون دائماً بمثابة الحاضنة الذي يحتضن صاحبه في السراء والضراء ، فلهذا يشغل حيزا كبيراً في ذهنية الشخص وثقافته المجتمعية ضمن واقعية الشخص والمكان الذي ينتمي إليه ، لاسيما مواقف وذكريات الطفولة والشباب الذي يمر من خلالهما كل انسان في الدنيا ينعم بحياة واقعية تكون جزء من سيرة ذاتية ؛ لأن ((من مواضيع السيرة الذاتية الكثيرة التي تؤكد لنا هذه الظاهرة ذكرى الطفولة او المراهقة ، فهي بدون شك تجسد هذه الظاهرة خير تجسيد ، فالشخص قبل أن تكونه بيئته وثقافته تكويناً كاملاً هو الأقدر على التأثير في الناس تأثيراً شاملاً و لذلك فان كان الحديث عن (طفولة)، الشخصية يستغرق من السير الذاتية، حيزا كبيراً))[٢٤]، فمن هذه الخصوصية التي تتميز بها البنية المكانية في النص النثري ، يتضح لنا من خلال النصوص المتعلقة بصاحب السيرة الذاتية أن هذا المكون (المكان) ، يشكل حيزاً كبيراً من فضاءات السيرة الذاتية ؛ لا سيما سيرة الكاتب بنسالم حميش الذاتية التي تنطلق دائما من مواقع المكان الذي يرتكز عليه المقام في الكلام والاحداث ؛ لأن خصوصيات المكان تحمل بين طياتها دلالات الذكريات الهامة في حياة الكاتب الأدبي كذكريات الطفولة والمراهقة والشباب والنضوج ، لكن المكون الأساسي لهذه الذكريات الخالدة في حياة الأديب هو وقع المكان وأثره في النفس البشرية والذهن الذي يحتضن الأفكار بمختلف مدى نضوجها ونشوئها ضمن مراحلها العمرية التي تسير مع صاحبها وتعمل على الالتقاط للمواقف والذكريات ، وتقوم بتخزينها على شكل ملفات تحفظ في رفوف الدماغ الذي يعني بصاحب السيرة الذاتية حتى تتجسد بأنتاج أدبي يقوم بتصوير هذه المواقف والاحداث بطريقة فنية تجذب المتلقي حتى يتسنى الاستفادة منها ؛ لأنها تمثل في طبيعة الأحوال معاني أدبية خلاصتها سيرة الكاتب الأدبي الذاتية .

رابعا : طبيعة الوصف المكانية في السيرة الذاتية :

إن الطبيعة الوصفية ترسم معاني وقيماً دلالية في طريق السيرة الذاتية ، لغرض التفسير والتوضيح للامور المستطرقة والاحداث ضمن واقعية المكان ، وكأنه دراسة وتفاصيل لوحة تشكيلية فنية من خلال عناصر الضوء والظل التي تتخللها طبيعة الألوان ((فهو يشكل نظاماً أو نسقاً من الرموز والقواعد يستعمل لتمثيل العبارات أو تصوير الشخصيات أي جموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية ، وعلى ذلك فهو الخطاب الذي يسم على كل ما هو موجود فيعطيه تميزه الخاص وتفرده في داخل نسق الموجودات المتشابه له أو المختلفة عنه))[٢٥] ، فمن خلال هذا الوصف الطبيعي لمسار واقعية الرموز والعناصر والنظام النسقي تظهر القواعد التي تمثل المضمونات وتقنيات التشخيص والتصوير للافراد والاشخاص الذين يمثلون مجمل الأحداث في عمل الكاتب لغرض التشكيل الذي يضعه ضمن وجهة نظره الأدبية والفنية المحكومة بنظام ونسقية المفردات بغض النظر عن المتشابهات أو المتناقضات التي تحيطه ، فهذه الطبيعة الوصفية لدائرة المكان قد وظفها كاتب السيرة الذاتية في عمله الأدبي والفني من خلال نصه الذي يتضمن محواه : ((إن باريس ، والحق يقال وهبتني وأنا متوسط الدخل إذاك جودة حياتية معتبرة ، فأجمل الجولات براً أو على مياه نهر السين عرفتها فيها ؛ وفيها شاهدت أرقى الأفلام والمسرحيات والسمفونيات ؛ وفيها ايضاً تعرفت على أميرة طالبة تونسية مددت لها يد العون السخي)) [٢٦] ، فمن خلال هذه القراءة الوصفية للطبيعة المكانية التي عاش واقعيتها كاتب السيرة الذاتية وتأثر بها، حتى تنضح ذاكرته برسوم معالم وشواهد الصور التي التقطها والتحقت بمخزون ذاكرته التي تفاعلت مع تلك المعاني المتنوعة في عاصمة الحب والرومانسية والجمال (باريس) ، فهي واجهة فرنسا الحضارية ونافذة اوربا الثقافية والأدبية والفنية حتى يقصدها الداني والقاصي من كافة أبناء المعمورة ؛ لكي تخزن الذاكرة اغلب هذه الأصرح والاماكن في معين الوصف المكانية و((لتذكير أيضاً ما رسمه (جوته) في شبابه من مناظر طبيعية لم يجد إلى التخلص منها سبيلاً ، إذ هي تذكره بما كان يدور في خلده حين أنجزها))[٢٧] ، لأن ذهنية الشباب صافية وجاهزة لاستقبال تلك الذكريات العفوية ضمن انطباعية البيئة المكانية ووصفيتها الدقيقة ، وكذلك يقول جوته : ((لقد كنت أحب رسومي ؛ لأني تعودت إلا أرى فيها من تمثله من مناظر طبيعية بقدر ما أرى فيها الأفكار التي شغلت بالي طوال الساعات بل اللحظات التي قضيتها في مزاولتها))[٢٨] ، فتظهر طبيعة الوصف المكاني من خلال استرجاع الذكريات والتعرف على معالمها الشاخصة في ذهنية الفرد حتى تخزنها ملفات الذاكرة وتتحدث بها متى ما قابلها مثير الاسترجاع لهذه المواقف والذكريات المثيرة لحاملها وصاحبها ، وكما في نص كاتب السيرة الذاتية

بقولـه: ((اسـتمررت فـي تمتـين مرتبتـي الدراسـية و تمنيتهـا ، وذلـك بخلـق آطـار لمزاولـة الكـد والتحصـيل، وكـان هـذا الاطـار هـو كـوخ فـي سـطح الـدار لا لاغيـة فيـه ولا ضوضـاء ، كـوخ عـرف مـع كـر الأيـام توسـعة فـي شـكل عريشـة فيحـاء حيـث اسـتحلت زقزقـات الطيـور وتغريـداتها)) [٢٩] ، ان التحـدث بهـذه الـذاكرة الاسـتعادية والاسـترجاعية ذات الانطباعيـة الوصـفية المكانيـة، ، وكأنهـا أوصـاف الطيـور ومشـاهد طبيعيـة تجعـل صـاحبها فـي تفاعـل حيـوي معهـا بطريقـة عفويـة وفطريـة ؛ لا سـيما بعفويـة الكاتـب للسـيرة الذاتيـة ، وكمـا بقولـه : ((إلا مـن نـواح الحمـام فلـم اطقـه بتاتـاً ، عرضـت أمـره علـى الصـديق عبـد اللطيـف الرهيـب، مبيـد القطـط ، فنصـب لـي فـراعتين فـوق الكـوخ والعريشـة، وطلـي بـالغراء الخشـب فيهمـا والأغصـان، وأهـداني صـفارة اسـتعملها لترهيـب الحمـام وابعـاده))[٣٠] ، فـتكمن براعـة الـذاكرة الانسـانية لالتقـاط المواقـف الحيـة ذات الطبيعـة الوصـفية المكانيـة بمـا تشـاهده مـن صـور انطباعيـة وصـفية وتصـورها بطـابع ذات كسـاء أدبـي ومسـحة فنيـة تحكـي طبيعـة هـذه المشـاهد المثيـرة لصـاحبها وحامـل معينهـا الفكـري والـذوقي لهـذه الصـور والأحـداث ، و ((يمكـن للاشـكال ان تكـون لهـا وظـائف مختلفـة ، كمـا تتجلـى الوظـائف عبـر أشـكال مختلفـة))[٣١] ، لأن طبيعـة الأشـكال تحمـل بـين طياتهـا تـرددات انعكاسـية التـي تفـرض وظائفهـا الواقعيـة والانطباعيـة التـي تنسـاب ضـمن حـدود معينـة التـي وضـعتها تلـك الأشـكال والمفـردات فـي ذائقـة وذهنيـة المتلقـي الـذي شـاهدها وانبهـر بهـا وتفاعـل برؤيتهـا مـن خـلال التجاذبـات الحاصـلة بينهمـا فـي حـدود المكـان الحاضـن لتلـك المفـردات والمسـميات التـي يتكـون منهـا ذلـك الموقـف ، ولكـن ((بعـض أنـواع الوصـف المكـاني تبنـى علـى أسـاس التـراكم وتعـدد التفاصـيل وجـرد الأشـياء لاسـناد قيمـة تفسـيرية ورمزيـة للموصـوف، وربمـا تـؤدي مراكمـة التفاصـيل فـي بعـض الأحيـان إلـى الحـاق التشـويش بالرؤيـة المكانيـة الدقيقـة ، لكنهـا تكتسـب بعـداً توثيقيـاً دالاً علـى الجماليـة الواقعيـة والطبيعيـة)) [٣٢] ، لا سـيما وصـف الأمـاكن والمحطـات التـي سـار مـن خلالهـا صـاحب السـيرة الذاتيـة (بنسـالم حمـيش) ،واسـتقبلتها ذهنيتـه الحيـة بوصـف المفـردات المكانيـة علـى الـرغم مـن تزاحمهـا المتـراكم بتفاصـيل صـور الأشـياء المتنوعـة التـي تحكـي طبيعـة الوصـف المكـاني المتعلـق بذائقـة الكاتـب المعنـي بتلـك السـيرة الذاتيـة، وجوانبهـا الأدبيـة التـي تصـور وتظهـر القيمـة التحليليـة بشـواخص رموزهـا للموصـوف علـى الـرغم مـن المشـاهد التراكميـة المركبـة للمصـور والمسـتذوق ، لكنهـا تضـع أفقـاً توضـيحياً للاسـتدلال علـى حسـن الواقـع والطبيعـة لتلـك الموصـوفات المكانيـة التـي تهـدف إلـى ((عكـس الصـورة الخارجيـة لحـال مـن الأحـوال أو لهيئـة مـن الهيئـات ، فيحولهـا مـن صـورتها الماديـة القابعـة فـي العـالم الخـارجي إلـى صـور أدبيـة قوامهـا نسـخ اللغـة وجمالهـا تشـكيل الأسـلوب ، فـأي بركـة مـن البـرك الجميلـة . هـي هيئـة أو

صورة مادية قائمة في حيز جغرافي معين))[٣٣] ، فهنا تكمن جودة الكاتب الأدبية من خلال التصوير الفني والأدبي لهيئة وحقيقة المفردات والأشياء التي تمثل الطبيعة الوصفية للاماكن وأجزائها المترامية ضمن حدودها المعينة حتى تسهم رؤية الكاتب الأدبية بإظهار جمالية هذه الأشياء ذات العلاقة بواقعية المكان التي ترفع جودتها الفنية قيمة الوصف المكاني في محطات ومواقع السيرة الذاتية للكاتب .

وهكذا ، بعد البحث والتقصي في دلالات الوصف المكاني من حيث المعنى والمفهوم ، وكذلك بواجبات المكان ووظائفه التي تعمل في تخريج العمل الأدبي ضمن تجنيس مقومات السيرة الذاتية ؛ لا سيما سيرة الكاتب بنسالم حميش الأدبية من خلال دور المكان وأهميته وطبيعته الوصفية وصولاً إلى اشتراك هذه المصطلحات ضمن دلالاتها الوصفية المكانية في تكوين السيرة الذاتية التي هي غاية البحث والتقصي لتلك الدراسة الأدبية ؛ لأن بنية المكان فاعلة وأساسية في عمل السيرة الذاتية .

المطلب الثاني: حالات المكان في السيرة الذاتية

إن الواقعية التي تتصف بها الأماكن هي التي تجعلها على حالتين من خلال الأماكن الخاصة والأماكن العامة ، فلكل مكان في السيرة الذاتية له خصوصيته الواقعية التي تفرضها ظروفها الاجتماعية، حتى تظهر عنها حالة المكان ؛ لأن الأماكن الخاصة تكون بحكم طبيعتها الواقعية محدودة المساحة والغرض والاستخدام كالبيت والكوخ والغرفة ... واما الأماكن العامة فتكون واسعة المساحة والغرض والاستخدام كالدولة، والمدينة والشارع ... وهذه الحالات الواقعية المكانية هي التي تفرض طبيعتها الحالة الأدبية في السيرة الذاتية ؛ لا سيما سيرة الكاتب بنسالم حميش الذاتية .

*أولاً : حالات الأماكن الخاصة في السيرة الذاتية : -

هو الكلام عن حالة الأماكن الخاصة التي يتردد عليها مجموعة محدودة ومعينة من الأشخاص الذين يقصدونها ويشعرون من خلالها بالراحة والاطمئنان ؛ لأنهم يمثلون مفرداتها الخاصة ، فيكون ((هو حديث عن المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كغرف البيوت والقصور ، فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية أو كأسيجة السجون فهو المكان الاجباري المؤقت ، فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان أو قد تكون مصدراً للخوف أو هي الأماكن الشعبية التي يقصدها الناس لتمضية الوقت والترويح عن النفس كالمقاهي))[٣٤] ، فهناك حالة خصوصية

، لكل مكان معين و محدود لكي تتردد عليه الأفراد الذين يتعلقون بها ، وتمتزج ذكرياتهم معها بشكل عميق في النفس والمشاعر والوجدان ؛ لأن هذه الأماكن الخاصة تكون جزءاً لا يتجزأ من كيانهم الذي يمثل وجودهم اليومي في حياتهم العملية ، فهي أماكن الراحة الشخصية والعلاقة النفسية التي تربطهم بها فهي الملاذ الذاتي والمأوى الذي تسكن فيه قلوبهم ، فتعد هذه الأماكن الخاصة المنطلق الأساسي لهم في محطات سيرتهم الذاتية ؛ لا سيما كاتب النص في سيرته الذاتية ، كقوله : ((أما المجاذيب والمجانين؛ فحدث ولا حرج، منهم امرأة لا تتزيين إلا بالأخضر ، تدخل المنازل متى شاءت فتنادي (فينكم يا أهل الدار ؟) ، لا يعرف لها اسم سوى المجذوبة أو ولية الله ، وقد حكت لي أمي انها هي التي حين ولادتي كانت السبب في تغيير اسمي من محمد إلى بنسالم قبيل ذبح الأضحية ، إذ أخذت تشطح وترفع عقيدتها (بالترديد هذا بنسالم يمشي ويعيش غانم)، فقبلت الوالدة بالأمر سيما وأنها كانت تعطف على المجذوبة وتكرمها))[٣٥] ، فموضع الشاهد في هذا النص لحالات الأماكن الخاصة ومحطات السيرة الذاتية فهي (المنازل) ، وكذلك (أهل الدار) ، لأنها بطبيعة الحال هذه من الأماكن الخاصة المحدودة المساحة والمعدودة الأشخاص والأفراد لكنها عزيزة الذكريات لصاحبها في السيرة الذاتية من خلال الاسترجاع لهذه الذكريات الهامة في حياة صاحب السيرة الذاتية ، فتعد له نقطة المسير والانطلاق والبداية في حياته اليومية والعملية، وكما أن ((المكان المغلق هو مكان العيش والسكن الذي يؤوي الانسان، ويبقي فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين))[٣٦]، لأن الذين يسكنون هذه الأماكن الخاصة يخضعون ويسكنون لواقع ظروفها ، سواء أكانت ارادية أم غير ارادية ، فهي تمثل وجودهم الذاتي على الرغم من ضيقها ومحدوديتها في المساحة لكن أهميتها كبيرة في الذاكرة والكيان الانساني ، فساكنوها ملازمون لها وليس لهم القدرة على التخلي عنها، فهي بمثابة، أوطان صغيرة لهم في الوجود والايجاد لشخصياتهم الذاتية ، وكذلك في نص السيرة الذاتية ايضا بقوله : ((لا تعد الأطفال على أكبر تقدير إلا لفهم كلمات الأغاني والاحاجي المحلية دون اللغة المفاهيمية والمجازية المكتوبة والمنظمة التي يكون فضاؤها الطبيعي. هو المدرسة))[٣٧]، فموضع الشاهد المكاني الخاص هو المدرسة ؛ لأنها تعد من الأماكن الخاصة ، والمحدودة المساحة وكذلك المعدودة الأفراد الذين يترددون عليها من التلاميذ والكادر التدريسي من المعلمين ، لكن المدرسة على الرغم من محدوديتها في المساحة والعدد ، فهي تحتل مساحة كبيرة في وجود الانسان وذاكرته ؛ لأنها المنطلق الاساسي في التربية والتعليم الذي يوجه المسار والفكر في الحياة لكل فرد متعلم .

ويرى جورج جوسدورف : ((وقد حلل علاقات السيرة الذاتية بالحقيقة تحليلاً يبدو لنا في غاية الطرافة ، إن قيمة السيرة الذاتية عنده لا تكمن في صحتها التاريخية ، ولا حتى في احكامها الجمالي ، بل في الشهادة الانسانية التي تقدمها)) [٣٨] ، واسمى شهادة إنسانية في الوجود هي التي تقدمها مكانية المدرسة من الخاصة إلى العامة ؛ لأنها شهادة تتصف بالرسمية الاكاديمية التي تمنحها المدرسة بكونها مؤسسة وجهة رسمية تابعة لمؤسسات الدولة حتى يتحقق الاعتراف بها من حيث التحصيل الدراسي الذي يحمل بين طياته مضمونات التربية والتعليم والثقافة والانسانية ، وكاتب السيرة الذاتية له القدرة والبراعة على تصوير الشخصيات ومنها المدرسية ، ف ((يقدم الشخصية من الداخل إلى الخارج، بمعنى أنه يقدم الانفعالات ، ثم أثرها الخارجي أو بروزها في شكل أحداث))[٣٩] ، فهنا تكمن براعة الكاتب في تصوير الشخصية وانفعالاتها تجاه الآخرين من خلال ظهورها وابرازها الذي يتدرج من الداخل إلى الخارج على وفق درجة ظهورها في غضون الأحداث ، وكما يقول صاحب النص : ((ويشهد على واقع هذا التضاؤل تناقض فضاءات ثقافية من مكتبات وقاعات سينما ومسرح وتحولها إلى مقاهي ومطاعم ومحلات تجارية))[٤٠] ، فتسير هذه العملية بالتحول لهيئة الأماكن الخاصة من مواقع ثقافية إلى أماكن تجارية لكنها تشترك بصفات بكونها أماكن خاصة محدودة المساحة ومعدودة الأشخاص الذين يترددون عليها ؛ لكي يقضون حاجاتهم الشخصية من خلال تلك الأماكن الخاصة ، فهذا عرض و ملامح لهذه الأمكنة الخاصة يقوم بعرضها كاتب السيرة الذاتية من خلال ((ان يكون لها بناء مرسوم واضح يستطيع كاتبها من خلاله أن يرتب الأحداث والمواقف والشخصيات التي مرت به ، ويصوغها صياغة أدبية محكمة ، بعد أن ينحي جانباً كثيراً من التفصيلات والدقائق التي استعادتها ذاكرته وأفادها من رجوعه إلى ما قد يكون لديه من يوميات و مدونات تعينه على تمثيل الحقيقة الماضية)) [٤١] ، فهذا العمل الأدبي يحتاج من الرؤية الفكرية والفنية والأدوات والاليات التي يقوم من خلالها كاتب السيرة الذاتية بتوظيفها لذلك الانجاز الموضوعي الذي يظهر تقنيته بالتعامل الفني مع تلك الرسوم والملامح المعنية بها مجمل الأحداث والمواقف التي تروم بها عدد من الشخصيات ذات العلاقة والصلة بتلك الأحداث والمواقف التي تشغل حيزاً في ذاكرته واسترجاعه لهذه الأوصاف واليوميات التي تخدمه في تصوير المعلومات والوقائع التي شاهدها في الزمن الماضي من سنوات حياته ؛ لأنها تمثل سيرته الذاتية بأدق التفاصيل لحياته اليومية ، وكما يقول ارسطو : ((إن المكان هو السطح المحيط المشتمل على محتواه اشتمال الإناء وايضا مكان المحتوى عليه المتمكن مما يتطابق مع سطحه الخارجي يتماشى معه كلما ازداد المتمكن أو نقص من جهة البعد)) [٤٢] ، فتشبيه المكان بالإناء لما يشتمل عليه و يحتويه ، لوجود علاقة وتمثيل بين المكان الخاص وأهله التى تظهر آثارها الحالات والدلالات من خلال التطابق مع السطح الخارجي الذي ينسجم مع ازدياد المتمكن عليه أو نقصه من ناحية البعد حدود المسافات المطروقة ، فحقيقة

المكان الخاص يكمن في سطحه المحيط به والمشتمل على أفراده ضمن مساحته المحدودة واشخاصه المعدودة الذين يتحدون مع خصوصية الأماكن الخاصة من حيث الهوية الثقافية والخصوصية العملية ضمن هذا المكون .

وهكذا ، بعد المضي بين طيات الأمكنة الخاصة بمختلف أنواعها وأشكالها وأوصافها لما تحمل من دلالات يتضح أن هذه الأماكن الخاصة لها ظروفها الواقعية والموضوعية التي يتصف بها أفرادها الذين يترددون عليها ويمثلونها في الحالات والدلالات التي تنصب في تغذية موضوعات و مفهومات جوانب السيرة الذاتية ؛ لاسيما كاتب النص ودلالاته للأماكن الخاصة التي استرجعها من خلال ذاكرته في زمنه الماضي والحاضر ضمن مواقف ومحطات سيرته الذاتية .

ثانياً : حالات الأماكن العامة في السيرة الذاتية :-

هي الأماكن الممتدة في المساحة والكثيرة الأفراد والعدد ، فبطبيعة الأحوال تتصف هذه الأماكن بحزمة من الدلالات ذات العلاقة بتلك المكون العام الذي يأخذ حيزاً وفضاء أدبياً كبيراً من عمل السيرة الذاتية ؛ لأن هذه الأماكن العامة تكون عادة مفتوحة لأكبر عدد من الأفراد وأوسع صدى وأشمل مدى ((فالمكان المغلق ، والأمكنة المفتوحة عادة تحاول البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع ، وفي العلاقات الإنسانية الاجتماعية ومدى تفاعلها مع المكان))[٤٣] ، فهذه الأماكن العامة تعد بمثابة حواضن بشرية كبيرة تظهر من خلالها حالات ودلالات العلاقات الانسانية وتحولاتها الاجتماعية الواقعية ، فهي الملتقى البشري الكبير والتلاقح الثقافي الغزير الذي يظهر التفاعل الحيوي بين الأفراد على شكل طاقات ومواهب ابداعية ، فيقول كاتب النص بنسالم حميش : ((أما روايتي العلامة ، فان لي معها قصة تعود إلى أواخر السبعينيات وأيام كنت في باريس ، حيث سجلت موضوع اطروحة دكتوراه الدولة حول العهد الوسيط المتأخر في بلدان المغرب ، فكان من أهم مراجعي في الموضوع تاريخ ابن خلدون و مقدمته))[٤٤] ، فموضع الشاهد هو العاصمة الفرنسية (باريس) ، وكذلك في (بلدان المغرب) ، من الأقطار العربية الواقعة في الشمال الغربي للقارة الأفريقية، فهي الجزائر والمغرب وليبيا وتونس و موريتانيا ، فمن خلال النص يرى المتلقي انعدام الحدود الفاصلة بين الجنسين وهما المذكرات والسيرة الذاتية ، و ((انه ليندر الايقحم مؤلف المذكرات نفسه من حين إلى آخر فيها يكتب ، وبذلك يغدو دون قصد منه أحياناً، مؤلف سيرة ذاتية ، وكذلك الشأن بالنسبة إلى مؤلف السيرة الذاتية ؛ إذ يندر ألا تطفوا على سطح ذاكرته الاحداث العامة التي كان عاشها ، بحيث يضطلع احياناً في ما يكتب بدور المدون لتلك الأحداث))[٤٥] ، هناك تداخل واضح بين الجنسين يصعب على المتلقي تحديده ؛ لأن عملية

السرد للسيرة الذاتية قائم على استرجاع المذكرات التي تطفوا على سطح الذهن المصحوبة بالانفعال الحسي والتفاعل مع التذكر لأهم الأحداث والمواقف والمشاهد والصور المثيرة للعقل والوجدان البشري الذي يحرص كثيراً على نقل الأحداث وتلك المسميات المذكورة ، فالمذكرات ((سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف وكان له فيها دور ، وتختلف عن السيرة الذاتية بأنها تخص العصر وشؤونه بعناية كبرى ، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية التي اشترك فيها المؤلف أو شيدها أو سمع عنها من معاصريه، أثرت في مجرى حياته))[٤٦]، فهذا التداخل بين الجنسين يحدث دائماً في مجريات أحداث السيرة الذاتية ؛ لوجود نقاط التقاء بينهما فلهذا يصعب وضع الحدود الفاصلة لعمليتيهما ، فهي علاقة وثيقة الصلة بين الطرفين ، لوجود حاجة كل واحد منهما للاخر، فلا توجد سيرة أدبية ذاتية بدون فعل و محرك المذكرات الذي يرسم الأحداث والوقائع بشكل يلفت الانظار ويستميل الاذهان ، وكما يرى جورج ماي : ((اننا كلما اوغلنا في البحث عن الحدود الفاصلة بين السيرة الذاتية والمذكرات ، ازددنا يقيناً من أنها غائمة زئبقية قُلّب وهمية . فلئن جاز لنا ان نساير النقاد ، من حيث المبدأ في تأكيدهم قدرتهم على استشفاف السيرة الذاتية من خلال ما تختص به من (نبرة) ، ونوعية حضور و (تميز للصوت) ، فأنه لا مناص لنا من الاقرار بأن مقاييس كهذه ذاتية مفرطة في الذاتية إلى حد أنها تمنع حصول الاجتماع بين القراء))[٤٧] ، فيصعب الفصل بين المذكرات والسيرة الذاتية ، ولا يمكن لأحد أن يستطيع يضع حدود ولو وهمية ؛ لأنها غائمة ومعقدة التداخل والتلاقي ، فيعتمد عمل الناقد الأدبي من خلال رصد المؤشرات والنبرات الصوتية التي تحقق إليهم أحكام نوعية وحضورية على وفق القدرة والخبر المتاحة إليهم، وينقلنا كاتب النص بنسالم حميش بقوله : ((لطفولتي ايضا علاقة حميمة بالفضاءات والأمكنة ، يتأكد لي هذا كلما زرت مدينة مسقط رأسي ، مكناس أو مكناسة الزيتون عند المؤرخين ، ذلك ان تجوالي بأزقتها وشوارعها وساحاتها وحدائقها و مدار صهريج السواني وبآثارها التاريخية ، يكون كما لو انه تجوال في جزء من وجداني وكياني))[٤٨] ، فموضع الشاهد في النص مدينة (مكناس) ، المغربية وهي من الأماكن الكبيرة والعامة التي يسكنها ويرتادها عدداً كثيراً من الناس فهي المصطلح المكاني الحاضن للكثير من الأمكنة والأزقة والشوارع والساحات والحدائق وغيرها كالمواقع التاريخية وصولاً إلى امتزاجها بالمشاعر والطفولة والوجدان الذي يبوح به الكاتب ويعترف بانها ذكريات يتشكل من خلال كيانه ووجوده في هذه المدينة المغربية ، وهكذا مدينة تكون ((صاخبة ثائرة تقزم الانسان، وتختصر وجوده ، الليل فيها صاخب، وكذلك نهارها ، المدينة تملك لذلك يعاني فيها كل الناس القلق والتوتر والفراغ خاصة أن

كل الناس في المدن الذين يتحركون في الشوارع غرباء إذا ما التقوا ففي ذهن كل واحد منهم آلاف التصورات عن الاخر))[٤٩] ، هذه قراءة واقعية لحالات المدن الكبيرة وما يتصفون به أهل هذه المدينة الغفيرة السكان نتيجة هذا الانفتاح الكبير الذي يعيشونه ، وهي بمثابة ملتقى جماهيري من السكان ، فيكون المجتمع مزيجاً من مختلف اجناس الناس الذين تجمعهم هذه المدينة الكبيرة حتى تلتقي فيها الثقافات المتنوعة ، وكذلك العادات والاعراف الاجتماعية ، ((وكاتب الترجمة حريص على تحري الحقيقة المصورة لما مضى من حياته ، ينقلها مما تجمع لديه من يوميات ورسائل أو مدونات وما تسعفه به الذاكرة، وكلها تعينه على تمثيل الحقيقة الماضية المتعلقة بحياته تمثلاً قوياً))[٥٠] ، فمن أهم هذه الأسباب التي تنجح عمل السيرة الذاتية هو حرص الكاتب وأمانته بما يكتب في مدونته الذاتية ؛ لأن الانسان بطبيعته الشخصية يعتز كثيراً بمتعلقاته الحياتية من يوميات ورسائل ومذكرات ومواقف قد واجهها في سيرته وعايشها وتأقلم معها على وفق الظروف التي مرت به من حلوها ومرها ، واشتغل مخزون الذاكرة على حفظها ؛ لكي يسترجعها في سيرته الذاتية ، على نحو ما جاء في نص الكاتب بنسالم حميش بقوله : ((أما في شارع سان – جيرمان المتقاطع مع سان – ميشيل ، فكنت أحياناً أقف أمام مقهى دروكستور مردداً في نفسي: من هنا أذن ، يو م ٢٩ اكتوبر ١٩٦٥م ، امتدت أيادي الشر والغدر إلى الزعيم المغربي المهدي بن بركة واختطفته واقتادته إلى حيث تمت جريمة تعذيب واغتياله))[٥١] ، فموضع الشاهد في النص هو : شارع – بيرمان المتقاطع مع سان – ميشيل ؛ لأن الشارع من الأمكنة العامة والمفتوحة التي يمر من خلاله الكثير من الناس مشياً على الأقدام وراكباً على العجلات والدراجات والعربات ومختلف السيارات الصغيرة والكبيرة ، فمن هذا الوصف نجد تداخل في الأجناس الأدبية من خلال فن الرواية والسيرة الذاتية ؛ لأن غاية الرواية في الأدب تكمن في سرد الأحداث والوقائع أو في معالجة الأفكار الاجتماعية ، فيقول جورج ماي : ((ان أهم سبب في قيام علاقة مميزة بين الرواية والسيرة الذاتية إنما يتمثل بداهة في أن السيرة الذاتية قد جعلت لنفسها هدفاً مماثلاً لهدف فصيلة كاملة من الروايات ، وهو ان تقص علينا حياة شخص))[٥٢] ، فهناك نقاط تلتقي فيها الرواية مع السيرة الذاتية ؛ لأن صاحب السيرة يعتمد دائماً على سرد الروايات التي تخص محطاته العمرية وتحيط بأهم مفردات حياته التي تتعلق به في احداث سيرته الذاتية ، فلا يمكن لكاتب السيرة الاستغناء عن أدبية الرواية في هذا العمل النثري حتى يتحقق بالشكل المطلوب الذي يرتقي بالمستوى الأدبي ؛ لاسيما العلاقة الأدبية بالامكنة وبالأخص الأماكن الكبيرة ؛ لأن ((الحديث عن الأمكنة المفتوحة هو حديث عن أماكن ذات مساحات هائلة

توحي بالجهول ، كالبحر والنهر ، أو توحي بالسلبية كالمدينة ، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات متوسطة كالحى ، حيث توحي بالألفة والمحبة ، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات صغيرة كالسفينة والباخرة كمكان صغير)) [٥٣] ، فأهمية المكان في العمل الأدبي ؛ لاسيما السيرة الذاتية واضح الأثر المعرفي والأدبي ؛ لأن طبيعة الأمكنة الكبيرة والصغيرة تفرض واقعها المتنوع على طبيعة العمل الأدبي بشكل عام وطبيعة السيرة الذاتية بشكل خاص ، فالأماكن الكبيرة هي عبارة عن حواضن بشرية كبيرة تظهر تنوع الثقافات والآداب والاعراف الاجتماعية المختلفة التي ترفد العمل الأدبي في السيرة الذاتية بشكل واقعي يسهم كثيرا باظهار هوية الكاتب الثقافية والأدبية ؛ لاسيما هويته الموضوعية في سيرته الذاتية .

وهكذا ، بعد العرض والتقصي في طيات النص الأدبي بمتون الذات بين الوجود والايجاد سيرة ذاتية بنسالم حميش وبخصوص الأماكن العامة والكبيرة الشاسعة المساحات والمأهولة بالناس والسكان والأفراد ، والتي تفرض بطبيعة الحال الحالات التي تتصف بها طبيعة الأماكن العامة بمالها من دلالات ذات وقع ملحوظ الأثر في العمل الأدبي للسيرة الذاتية ، فاعطى الكاتب الادبي أهمية كبيرة لهذه الأمكنة الكبيرة من خلال نصه الأدبي ؛ لأن هذه الأمكنة تعد بمثابة نقاط حساسة ومفصلية بالنسبة لعمل السيرة الذاتية من خلال اسهاماتها الواقعية والأدبية في اظهار الهوية الثقافية والأدبية للكاتب ضمن سيرته الذاتية .

الخاتمة

بعد المضي والبحث والاستقراء والاستنتاج والكشف عن حالات ودلالات المكان الذي يسهم كثيراً في تكوين السيرة الذاتية ؛ لا سيما في الذات بين الوجود والايجاد سيرة ذاتية للكاتب الأدبي بنسالم حميش ، فتوصل ذلك البحث لأهم النتائج كالاتي :

١- يعد مكون المكان ركيزة أساسية في طبيعة العمل الأدبي للسيرة الذاتية .

٢- إن تنوع الأماكن الكبيرة والصغيرة من حيث المساحة والنفوس لها علاقة وتأثير بحالات ودلالات السيرة الذاتية .

٣ - يكون الضمير المستعمل دائماً في العمل الأدبي للسيرة الذاتية هو ضمير المتكلم .

٤- وجود علاقة وثيقة بالتداخل بين المذكرات والسيرة الذاتية يصعب تحديدها.

٥- تداخل عمل الرواية مع السيرة الذاتية ؛ لاشتراكهم بتصوير الأحداث والشخصيات في الأعمال الأدبية.

٦- إن مكون المكان له واجبات ووظائف مفروضة في العمل الأدبي للسيرة الذاتية .

٧- جميع الأماكن الكبيرة والصغيرة والعامة والخاصة لها طبيعة وصفية تظهر آثارها في السيرة الذاتية .

٨- تعد كتابة السيرة الذاتية بمثابة وثيقة أدبية لشخصية كاتبها ؛ لا سيما الكاتب الأدبي في سيرته الذاتية الذات بين الوجود والإيجاد بنسالم حميش .

٩-يتحقق تطابق في السيرة الذاتية من خلال ثلاثة مصطلحات هو: المؤلف والسارد و الشخصية .

١٠- لقد تحقق تطابق كبير بين السيرة الذاتية لبنسالم حميش والميثاق الذي وضعه فيليب لوجون .

الهوامش :

١- دليل الناقد الأدبي ، د. ميجان الرويلي و د.سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ، ط٣، ٢٠٠٢م ، ١٧٣ .

*بنسالم حميش : هو مفكر و أديب ووزير الثقافة الأسبق للمغرب ، وحاصل على شهادات عليا من جامعتي الرباط و باريس ، وله كتابات بالعربية والفرنسية في البحث والابداع الأدبي ، وترجمت بعض رواياته إلى عدة لغات ، واختار اتحاد الكتاب في مصر روايته (مجنون الحكم) ، ضمن أحسن الروايات المئة للقرن العشرين ، ومحاضر في عدة ملتقيات عربية وأوربية وأميركية ، وعضو في جمعيات ومؤسسات عربية واوربية ، ورئيس سابق لصندوق دعم الانتاج السينمائي المغربي ، وعضو سابق في المجلس الاستشاري لحقوق الانسان ، وله العديد من الجوائز والتنويهات كجائزة الناقد للرواية (١٩٩٠م) ، وجائزة الأطلسي الكبير (٢٠٠٠م) ، وجائزة نجيب محفوظ من الجامعة الأميركية في القاهرة (٢٠٠٢م)، وجائزة الشارقة لليونسكو (٢٠٠٣م) ، وجائزة نجيب محفوظ لاتحاد كتّاب مصر (٢٠٠٩م) ، وميدالية تنويه من الجمعية الأكاديمية الفرنسية للفنون والآداب والعلوم في باريس (٢٠٠٩م) ، والجائزة الكبرى لأكاديمية تولوز الفرنسية (٢٠١١م) ، ونالت روايته (معذبتي) ، جائزة البوكر للقائمة القصيرة ، ينظر : الذات بين الوجود والإيجاد سيرة ذاتية ، بنسالم حميش ، المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب ، وبيروت، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٩ م : خلف صورة الغلاف .

٢- السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، فيليب لوجون ، ترجمة وتقديم : عمر حلي ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان،ط١ ،١٩٩٤ م : ٠٨

٣- المدثر : ٠٣٨

٤- ينظر: لسان العرب ، للإمام العلامة ابن منظور، اعتنى بصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ، و محمد

الصادق العبيدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ،ط١ ، ٢٠١٠م ، ج٨ : ٢٥١ – ٢٥٢ .

٥- ينظر : المعجم الوسيط ، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، وأحمد حسن الزيات، ومحمد علي النجار، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، اسطنبول ، تركيا ، ط ٢، ١٩٧٢ م ، ج٢ : ٨٨١-٨٨٢.

٦- النحل : ١١٢.

٧- معجم السرديات ، مجموعة من المؤلفين ، اشراف : محمد القاضي ، دار محمد علي للنشر، تونس ، ط١ ، ٢٠١٠م : ٤١٨ .

٨- المصدر نفسه : ٤٠٣ .

٩- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، وكامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤ م: ٤٣٢ .

١٠- السيرة الذاتية ، جورج ماي، تعريب : أ.د ، محمد القاضي ، أ.د. عبد الله صولة ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ، ط١ ،٢٠١٧ م:٩٠ .

١١- الذات بين الوجود والإيجاد : ١٩-٢٠ .

١٢- الوعي بالمكان ودلالاته في قصص محمد العمري ، شاكر عبد الحميد ، مجلة فصول النقد الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مجلد ١٣ ، ج١،العدد(٤) ،١٩٩٥م :٢٥٨ .

١٣- الذات بين الوجود والإيجاد: ٢٠.

١٤- السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي : ٢٤-٢٥ .

١٥- الذات بين الوجود والإيجاد :٢٠ .

١٦- عندما تتكلم الذات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث،د. محمد الباردي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، سوريا،٢٠٠٥م:١٠٤ .

١٧- الذات بين الوجود والإيجاد :٢٠ .

١٨- المكان ودلالته في الشعر العربي القديم ؛ المعلقات انموذجاً ، باريس فوغالي ، مجلة الآداب والعلوم ، جامعة محمد خضير ، بسكرة ، الجزائر، العدد (١) ،٢٠٠٢ : ٣٧.

١٩- الذات بين الوجود و الايجاد : ٢١ .

٢٠- السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي : ٤٠ .

٢١- الذات بين الوجود والايجاد :٢٢ .

٢٢- عندما تتكلم الذات : ١٣٦ .

٢٣- البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، احمد مرشد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٥م : ١٢٨ .

٢٤- السيرة الذاتية : ١٦٥ .

٢٥- تشكيل المكان في الخطاب السردي (قراءات في السرديات العراقية المعاصرة) ، نبهان حسون السعدون ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٥م : ٨١ .

٢٦ - الذات بين الوجود والإيجاد : ٤٨ .

٢٧- السيرة الذاتية : ٨٩ .

٢٨- المصدر نفسه : ٨٩.

٢٩-الذات بين الوجود والإيجاد : ٣٥ .

٣٠- المصدر نفسه : ٣٥- ٣٦ .

٣١- السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي : ٩٥ .

٣٢- استعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل ، محمد مصطفى علي حسانين ، دار النشر غير محدد :٢١.

٣٣- في نظرية الرواية بحث فى تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض ، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٨ م :٢٤٥ .

٣٤- جماليات المكان في ثلاثية حنامينه ، مهدي عبيدي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق، سوريا ، ٢٠١١م : ٤٣ .

٣٥- الذات بين الوجود والايجاد :٢١-٢٢ .

٣٦- جماليات المكان في ثلاثية حنامينه : ٤٤ .

٣٧- الذات بين الوجود والإيجاد : ١٣٩ .

٣٨- السيرة الذاتية : ١٣٩ .

٣٩- السيرة تاريخ وفن ، ماهر حسن فهمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، مصر ، ط١ ،١٩٧٠ م : ٢٤٧ .

٤٠- الذات بين الوجود والإيجاد : ١٧٨.

٤١- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان : ٤.

٤٢- الفيزياء السماع الطبيعي ، ارسطو، ترجمة : عبد القادر قينيني ، ، افريقيا الشرق للنشر والتوزيع ،

الدار
البيضاء، المغرب ، ١٩٩٨م : ١١٣ .
٤٣- جماليات المكان في ثلاثية حنامينه : ٩٥ .
٤٤- الذات بين الوجود والإيجاد : ٩١ .
٤٥- السيرة الذاتية : ١٩١ .
٤٦- المعجم الأدبي ، جبور عبد النور، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤ : ٢٤٦ .
٤٧- السيرة الذاتية : ١٩٤.
٤٨- الذات بين الوجود والإيجاد : ٢٤ .
٤٩- الزمكانية وبنية الشعر المعاصر أحمد عبد المعطي حجازي انموذجاً ، حنان محمد موسى حموده ، عالم
الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد ، الأردن ، ط١ ،٢٠٠٦م : ٥٠ .
٥٠- الترجمة الذاتية : ١٣٧ .
٥١- الذات بين الوجود والإيجاد : ٥٠ .
٥٢- السيرة الذاتية : ٢٦٨ .
٥٣- جماليات المكان في ثلاثية حنامينه : ٠٩٥

اولا : المصادر والمراجع :-

* القرآن الكريم
١-استعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل ، محمد مصطفى علي حسانين، دار النشر غير محدد .
٢- البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، أحمد مرشد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
٣ - الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان .
٤- تشكيل المكان في الخطاب السردي (قراءات في السرديات العراقية المعاصرة) ، نبهان حسون السعدون ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط١ ،٢٠١٥م.
٥- جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ، مهدي عبيدي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سوريا ، ٢٠١١م .
٦- دليل الناقد الأدبي ، د ميجان الرويلي، ود. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ، ط

٣، ٢٠٠٢م .
٧ – الذات بين الوجود والإيجاد سيرة ذاتية ، بنسالم حميش، المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت، لبنان ، ط٣ ،٢٠٠٢ م .
٨– الزمكانية وبنية الشعر المعاصر أحمد عبد المعطي حجازي أنموذجاً ، حنان محمد موسى حمودة ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد ، الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
٩– السيرة تاريخ وفن ، ماهر حسن فهمي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، مصر ، ط١ ،١٩٧٠ م.
١٠– السيرة الذاتية ، جورج ماي ، تعريب : أ.د. محمد القاضي ، و ا.د. عبد الله صولة ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ، ط١ ، ٢٠١٧م .
١١– السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، فيليب لوجون ، ترجمة وتقديم : عمر حلي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان ، ط١، ١٩٩٤ م .
١٢ – عندما تتكلم الذات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د. محمد الباردي ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٥ م .
١٣– الفيزياء السماع الطبيعي ، ارسطو ، ترجمة: عبد القادر قينيني ، أفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٨ م .
١٤ – في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٨ م .
١٥– لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، اعتنى بصحيحها : امين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ،ط١ ، ٢٠١٠م .
١٦ – المعجم الأدبي جبور عبد النور، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط٢ ،١٩٨٤ م .
١٧– معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، إشراف : محمد القاضي ، دار محمد علي للنشر، تونس ، ط١ ،٢٠١٠م .
١٨– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، وكامل المهندس، مكتبة لبنان ، بيروت، لبنان ،ط٢ ،١٩٨٤م .
١٩– المعجم الوسيط ، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى ، وحامد عبد القادر، وأحمد حسن الزيات، ومحمد علي النجار ، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، اسطنبول، تركيا ، ط٢ ،١٩٧٢ م .

ثانياً : المجلات والدوريات :-

١- المكان ودلالته في الشعر العربي القديم ؛ المعلقات أنموذجا ، باريس فوغالي ، مجلة الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة محمد خضير ، بسكرة ، الجزائر ، العدد (١) ، ٢٠٠٢م .

٢- الوعي بالمكان ودلالاته في قصص محمد العمري ، شاكر عبد الحميد ، مجلة فصول النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مجلد ١٣ ، ج١ ، العدد (٤) ، ١٩٩٥ م .